٥٠ فائدة

من كتاب الأنس بالله

جمع وترتيب

عبد الرحمن محمد عسيري

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمـد لله وكفـى، وصلاة وسـلاما على الهادي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

وبعـد:

فهذه خلاصـات مُنتخبة، وفوائد منتقاة، من كتاب **"الأُنْسِ بِاللهِ تَعالى"**، لفضيلة الشـيخ المؤلف: أحمد بـن ناصر الطيـار حفظـه الله، وقد حـوى الكثير من الرسـائل والعبـارات الجليلـة، لاسـيما وقـد كان الحديث عن الله جَلَّجَلَالُهُ، وطريق الوصول إلى الأنس به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولقد عُرف المؤلف بكتبه المتميزة، والتي لاقت قبولًا واسعًا، فله أسلوبه المبهج المنثور بأناقةٍ وسلاسة، وكأن قارئها يسير في حديقةٍ غناء ذات أغصان وارفة.

وقد قال عن كتابه هذا: "إِنَّهُ مِنْ أَحَبّ كُتُبي إِلى قَلْبِي، وَالذي كَتَبْتُهُ بِمِدادِ روحِي".

كتاب لا يملُّ منه القارئ، ويحسنُ به أن يعيدَ الكرّة معه دائمًا.

ولعل هذا الكتاب وهذه الفوائد تغيّر من علاقتك وتعاملك مع الله جَلَّوَعَلَا.

فدونك هذه الفوائد، نفعني الله وإياك بها.

❋❋❋

١

إن الأُنـسَ بـالله تعالى أعظـمُ لذةٍ وحـلاوةٍ في هذه الحيـاة، به تطيـبُ النفس، وينشـرح الصدر، ويقوى المؤمـن على تحمـل مصائب الدنيا، ويسـهل عليه القيام بالعبادات والطاعات.

٢

الْأُنْـسُ بِـاللهِ: حَالَةٌ وِجْدَانِيَّـةٌ، وَهِيَ مِـنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ، تَقْوَى بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

١ - دَوَامُ الذِّكْرِ.

٢ - وَصِدْقُ الْمَحَبَّةِ.

٣- وَإِحْسَانُ الْعَمَلِ.

وَقُوَّةُ الْأُنْسِ وَضَعْفُهُ: عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْقُرْبِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ مِنْ رَبِّهِ أَقْرَبَ، كَانَ أُنْسُهُ بِهِ أَقْوَى، وَكُلَّمَا كَانَ مِنْهُ أَبْعَدَ، كَانَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ أَشَدَّ.

﴿ ٣ ﴾

إذا حل الأنس بالله تعالى في القلب استنار وانشرح، ومُلئ نوراً وفرحًا، حتى لا يأنس إلا بالله، وأسعد لحظاته الخلوة بالله، وانقلبت المحن في حقه إلى مِنح والمصائب إلى مكاسب.

﴿ ٤ ﴾

خرج شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوما فخرج خلفه أحد طلابه وهو لا يشعر به، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد،

تنفس الصعداء، ثم تمثل بقول الشاعر:

وأخـرج مـن بيـن البيـوت لعلني

أُحدِّث عنـك القلب بالسـر خاليًا

سـبحان الله ! يخرج وحيدًا إلـى الصحراء؛ ليأنس بـالله الواحد الأحـد، وما ذاك إلا لحبه لربه، وأُنسـه به، وشـعوره بحاجته إليه، واسـتغنائه به عن الخلق كلهم.

﴿ ٥ ﴾

هذه السـعادة التي يشعر بها شـيخ الإسلام، واللذة والحلاوة والأنس، لم تكن لـولا الإيمان الذي نوَّر قلبـه، والعلم الـذي قوى عزمه، وهمـا ركنا النعيم، الذي يشبه نعيم الآخرة.

بـل إنه صـرح بذلك فقال: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ إِلَّا نَعِيمَ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ»(١).

٦

اعلم أن طريق الوصول إلـى الأنس بالله تعالى يمر عبر ثلاث مراحل:

* المرحلة الأولى: سلامة القلب من الأمراض.
* المرحلة الثانية: التعلق بالله والإقبال عليه.
* المرحلـة الثالثة: إحسـان العمل، والمسـارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة.

وبعدها سيفتح الله للمؤمن - بإذن الله تعالى - بابين عظيمين:

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١).

❊ **الباب الأول:** خفة العبادات عليه، وراحته عند القيام بها.

❊ **الباب الثاني:** اليقين بالله والرضا به وحب لقائه، وفرحه به، وحبه له.

وهـذان البابان مغلقـان عن جميع العبـاد إلا عمن سـلم قلبه من كل ما يغضب الله تعالى وامتلأ بما يُحبه ويرضاه، وأشـرق بالحكمة المأخـوذة من كلام الله تعالى وسُنَّة رسوله.

٧

مـن أراد أن يمـلأ الله تعالى قلبـه إيمانًا وانشـراحًا وأُنسـا به: فليخـرج منه الأمـراض التي تحـول بينه وبيـن ذلك، ولا يمكن أن يطهـر القلب ما لم تخرج الصفات الخبيثة منه.

٨

كل من فرَّط في إصلاح قلبه وسلامته من الأمراض:

فإنه سينشأ ويكبر وهو متصف بمرض من الأمراض الخطيرة، والتي ستظهر على سلوكه وتعامله.

فاحرص - رعاك الله - على صلاح قلبك، وتخليصه من الأمراض الكثيرة الخطيرة.

٩

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبته، وحلاوة ذكره، والأنس بقربه، في قلب ممتلئ بكلاب

الشهوات وصورها؟»[(١)].

١٠

إذا كان الله تعالى عاقب الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالهزيمة يوم أحد بسبب مخالفة أو مخالفتين فقط؟

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، هذا ورسول الله وخاتم رسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم وبين أيديهم؟

فيجب علينا أن ننتصر على جيوش الشهوات الحسية والمعنوية.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٩١).

﴿ ١١ ﴾

الْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنَ ثمانية أمراض:

* المرض الأول : الشِّرْك، وهو تعلّق القلب بغير الله تعالى، حبا أو رجاء، أو خوفًا، أو توكلا، أو خشية، أو رهبة، أو رغبة.

* المرض الثاني: الحِقْد، وهو بُغضُ المسلم بسبب شحناء وعداوة دنيوية بينهما.

* المرض الثالث: الحَسَد، وهو تمني زوال النعمة عن المسلم.

* المرض الرابع : الشُّح، وهو شدة الحرص على الشيء، والاحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجَشَعُ النفس عليه .

❊ المرض الخامس: الكِبْر، وهو ردُّ الحق، واحتقار الناس.

❊ المرض السادس : حُبّ الدُّنْيَا، وذلك بالعمل لأجلها، والفرح والتعلق بها .

❊ المرض السابع : حُبّ الرِّيَاسَةِ، وهو حبّ العلو والرفعة، وطلبها والحرص عليها بلا مصلحة دينية.

❊ المرض الثامن : حُبُّ الشُّهرة، وهو أن يسعى الإنسان لشهرة نفسه، وانتشار ذكره بلا قصد صحيح من ذلك .

١٢

جمـاع هذه الأمـراض في مرض واحـد، وهو اتباع الهـوى، وجماع صـلاح القلب في مخالفـة الهوى، إيثارا لمرضاة الرب .

١٣

المؤمن التقـي يكون همّه أن يـزداد إيمانه ويقوى؛ لأنـه يعلـم أن القلـب هو الأصـل والأسـاس، فإذا صلح واسـتقام، استقام العمل وصلح، ومتى تعاهد المؤمن قلبه لم يتعب في تعاهد عمله.

١٤

أعظـم عبادة تتقرب بها إلى الله تعالى: أن يطَّلِعَ اللهُ علـى قلبك فلا يرى فيه غيره، ولا توجها إلا له، ولا حبـا إلا لـه، ولا تـوكلا إلا عليه، ولا غيـرةً إلا عليه وعلى دينه ولا انتقاما للنفس ونصرة لها.

١٥

المؤمـن الصادق: يشـعر دائمًا أنـه مقصر في حق الله تعالـى تقصيرًا عظيمًا، ولا يـرى أنه عمل العمل الذي ينبغي، فلذلك يدعو ربه كثيرا: «اللهم عاملني بعفوك وإحسانك وكرمك وجودك».

وسوف يلاحظ بعد ذلك أنه كلما ازداد علما، وقربا إلـى الله تعالـى، وقارن حاله بحـال النبي ﷺ

والسلف الصالح: ازداد ازدراء لنفسه، وتعظيما لربه؛ لعلمه بعظم حقه عليه، وتقصيره الشديد بأداء حق ربه وما افترضه عليه.

﴿ ١٦ ﴾

أهم الأمور التي تُعين على التعلق بالله والإقبال عليه:

١- الإخلاص التام في العبادة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

[البينة: ٥].

٢- خشوع القلب.

فالمؤمن يجب عليه أن يتصف بصفة الخشوع لله؛ بأن يكون ذليلا له، خاضعا لأحكامه، مستجيبا

لأوامره، مسارعًا إلى مرضاته، ومن لم يفعل ذلك فليس من الخاشعين المخبتين لله.

٣- النظر إلى الْمُنْعِم لا إلى النَّعْمَة فقط.

المؤمن الصادق يكون فكره ونظره متجها إلى المُنعم وقت النعمة، وتكون محبته له تعالى لما هو له أهل، لا لأجل إحسانه ونعمه عليه فحسب.

﴿ ١٧ ﴾

من أراد التوفيق والسعادة والرفعة فعليه بالإكثار من عبادة الله بقلبه وجوارحه والصبر عليها.

﴿ ١٨ ﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. [الملك: ٢].

«وَلَمْ يَقُلْ: أَكْثَرُ عَمَلًا بَلْ ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وَلَا يَكُونُ الْعَمَلُ حَسَنًا حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا للهِ، عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَتَى فَقَدَ الْعَمَلُ وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنَ الشَّرْطَيْنِ بَطَلَ وَحَبِطَ»(١).

وعلم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقول في دُبُرِ كُلِّ صَلَاة: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، ولم يقل: كثرة عبادتك.

١٩

لو تأملت في أعظم وأهم أسرار نجاح الناجحين في الدين والدنيا أو أحدهما، وسبب رفعتهم وعلو كعبهم، لوجدت السر في هذه الآية العظيمة ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: ١٨].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٨).

فأصحاب الهمم الطامحون للوصول إلى أعلى القمم: يبادرون إلى سلوك أحسن الأقوال والآداب والنصائح والحكم، فيفوزون بأعلى الدرجات، وأرفع المقامات، وأكمل الصفات.

٢٠

من أعجب الأحاديث وأعظمها تأثيرًا على المؤمن الموفق ما رواه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ:

«مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ : كُنْتُ أُصَلِّي ، فقال: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

وهنا سؤالان :

السؤال الأول: ألم يستجب أبو سعيد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! بلى، فقد قال: ثُمَّ أَتَيْتُهُ.

السؤال الثاني : ألم يكن مشغولا في صلاته وإقباله على ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ بلى، فلماذا لامه وهو في عبادة ربه؟

والجواب: أن أبا سعيد استجاب بعد تأخر، فمن استجاب لأمر الله تعالى ورسوله، ولكن تأخر، فقد استحق العتاب واللوم.

وتأخر أبي سَعِيدٍ كان لانشغاله بالمفضول عن الأفضل والأكمل، وهو الاستجابة لنداء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو فرض واجب، وصلاته كانت نافلة.

فما عذر من يتأخر عن الصلاة وهو يسمع نداء الله:

(حي على الصلاة ، حي على الفلاح)؛ بحجة أنه مشغول في طلب العلم أو الذكر أو الدعوة، فضلا عن الأمور المباحة؟

وما عذر من يتأخر عن التوبة من معاصيه وذنوبه

والله تعالى قد كرر الأمر بالتوبة في كتابه في مواضع كثيرة.

٢١

إذا أردت - أخي المسلم - أن تخشع في صلاتك، وتذوق اللذة والراحة في الصلاة:

فاستحضر أنك تناجي ربك في كل ما تقول، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ**». أخرجه مسلم.

هـل يليق بك أن تغفل عنـه وهو ليس بغافل عنك؟

هـل مـن الأدب أن تفكر بغيره ويشـرد ذهنك وأنت واقف بين يديه تناجيه ويرد عليك إذا قرأت الفاتحة؟

واستشـعر وقـوف الْمَلَك عـن يمينك، قـال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قَـامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّـلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ؛ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا**». أخرجه البخاري.

وإذا فعلت هذا فسوف يملأ الله تعالى قلبك أُنسـًا به، ومحبة له، ويقينا به، وإقبالا عليه.

٢٢

أقرب شـبهٍ لحـال مـن ينقر صلاتـه نقـر الغراب، ويسـتعجل في ركوعهـا وسـجودها وقيامهـا، ويأتي

إليها متأخـرًا ويخرج مبكرًا، وحال من يخشـع فيها ويطمئـن فيهـا، ويُقبـل عليهـا بقلبه مـن يجلس مع حبيب، ومن يجلس مع ثقيل .

فمن جلس مع محبوب يستمع له بإصغاء وحماس:

فإنه إذا حدث حبيبه في قصة أو أمرٍ ما فسـيتكلم معه بشـغف وحماس، وسـيُفصّل في حديثه، وسيتفاعل أثنـاء سـرده للحـدث والقصـة، ولـن يدع شـيئًا في نفسـه إلا قاله له؛ لأنه يشعر بالفرح وهو يبث لحبيبه همومه، ويشعر بالقرب من حبيبه؛ لأنه يرى حماسه تجاه ما يقول.

ومن جلس مع ثقيل: فإنه إذا حدثه فلن يتكلم معه بشغف وحماس، ولن يفصل في الكلام؛ بل سيعطيه الزبدة والخلاصة، ولن يتفاعل مع الحدث والقصة،

ولن يشعر بالفرح ولا بالنشاط أثناء حديثه ؛ لأنه لا يشعر بالقرب من الذي يحدثه، فهو لا يرى حماسه تجاه ما يقول .

٢٣

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾. [العنكبوت: ٦٩].

وعد صادق من الكريم الوهاب:

- فمن جاهد نفسه لله في قيام الليل هداه للقيام وأعانه وشرح صدره وأذاقه لذة قيام الليل التي هي أحلى من كل متع الدنيا .

- ومن جاهد نفسه لله في طلب العلم والرسوخ فيه بلغه الله المنازل الرفيعة في العلم.

- **ومن جاهد نفسه لله في بذله للعلم ونشره** بارك الله له في علمه، وهداه للسبيل الأقوم لنشره.

- **ومن جاهد نفسه لله في نزع الخوف** من مقابلة الناس في إلقاء الكلمات وارتجال الخطب واكتساب أحسن الأساليب المؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى هداه الله لذلك، وبلغه مراده، وجعله من أفصح الناس، وأقواهم تأثيرًا، وأجرؤهم في تبليغ دينه، وأشرحهم صدرًا لذلك، وأذاقه لذة نشر العلم التي لو ذاقها الناس لما فرطوا فيها.

- **ومن جاهد نفسه لله في التخلق بالأخلاق الحسنة والتخلص من الطباع السيئة:** هداه الله لأحسن وأتم وأكمل الأخلاق، وخلصه من رديئها.

- **ومن جاهد نفسه لله في ترك ذنوب ابتلي بها،** وفتن غرق بها: هداه الله للتخلص منها، وسهل عليه فراقها وتركها.

٢٤

لا يمكن لقلبٍ أن يمرض ويصدأ ويخرب، وصاحبه يعرضه على خالقه وصانعه في اليوم خمس مرات فيغذيه، ويزكيه، ويطهره .

ومن صلى وهو غافل، وشارد الذهن ولم يتمعن في الصلاة وما يقول فيها : لم يعرض قلبه على ربه ليصلحه، فأنى لقلبه أن يصلح ويطهر؟

٢٥

من أعظم وأقوى أسباب سعادة المسلم ولذته وصلاح قلبه كذلك: قراءة القرآن بتدبر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَةِ الْقُرْآن بالتَّدَبُّر والتفكر»[(١)].

٢٦

إذا ذقت - أخي المسلم - حلاوة وطعم الإيمان، ومحبة صاحب الكرم والجود والإحسان: ستجد للعبادات لذة عجيبة، وأنسا لا نظير له، وستكون الخلوة بالله تعالى أحب إليك من كل شيء، وسيكون قيام الليل والناس نيام هو عيدك، وقرة عينك وانشراح صدرك، وصلاح بالك.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٥٣).

٢٧

إن لتيقظ المؤمن قبل الفجر وقيامه الليل وصلاة الفجر وكثرة ذكره لله بين ذلك أعظم الأثر على حياته وروحه ونشاطه وقوته وهمته في يومه كله، وتذكر ما ذكره ابن القيم عن شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ أنه حضره مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليه وقال : هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي.

٢٨

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

وقد فُسرت الحياة الطيبة بالقناعة، والرضا، والرزق الحسن، وغير ذلك، والصواب أنها حياة القلب، ونعيمه، وبهجته، وسروره بالإيمان، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة»[(١)].

٢٩

لو وجدنا ما وجده هؤلاء من الأنس والراحة والسعادة في قيام الليل لتسابقنا إلى قيام الليل ومناجاة الكريم الوهاب، نسأل الله من فضله.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٥٩).

٣٠

أهـل القرآن المخلصون يجـدون للقرآن حلاوة لا نظيـر لها، وفي مناجاة الله أُنسـا لا مثيل له وقصصهم وأخبارهـم تدل على أن أزواجهـم من الحور العين تشعر بهم، والملائكة تستمع لتلاواتهم، والأخبار في إيقاظ زوجاتهم والملائكة كثيرة معروفة.

وحال الواحد منهم - جعلنا الله منهم - وهو يترقب آخر الليل كأنه سيدخل على فتاة بكر جميلة يحبها.

وهـذه حالتهـم كل ليلة إلا ما شـاء الله، فهل هناك حياة أعظم وألذ وأطيب من هذه الحياة؟

٣١

لو لـم يكن في العبـادة إلا مـا يعقبها من السـعادة والراحة والسكينة والطمأنينة لكان كافيًا، فكيف وما هي إلا ذرة من نعيم الجنة !

٣٢

مـن أعظم ثمـرات طهـارة قلبـك مـن الأمراض، وصدقك مـع الله تعالى في الاجتهاد في صلاح قلبك وعملـك : إكـرام الله لك – بـإذن الله تعالى – بذوق طعم وحلاوة الإيمان، ويا له من طعم ما أحلاه، ويا لها من حلاوة ما ألذها.

والإيمان له حلاوة في القلب ولذة، لا يُساويها شيء أبدا، ولا يجد القلب عشـر هذه الحلاوة واللذة ولو

ذاق كل حلاوات ولذائذ الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْقَلْبِ إِذَا ذَاقَ طَعْمَ عِبَادَةِ اللهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ: لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ قَطُّ أَحْلَى مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ»[1].

٣٣

إن الغاية من طلب العلم والعبادة هي أن يصل المؤمن إلى منزلة اليقين التام بالله تعالى، فإذا منَّ الله تعالى عليه باليقين به وبكتابه وباليوم الآخر: أورثه سعادة ولذة عظيمة، وشوقا إلى لقاء ربه، وحبا له.

وقد كان السلف الصالح يتعلمون اليقين بالله تعالى، كما قال بعض السلف: «تعلموا اليقين كما تتعلمون

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٧).

القرآن حتى تعرفوه، فإني أتعلمه».

واجعل مقولة أحد السلف حاضرة بين عينيك:

«لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا».

٣٤

يَحْصُلُ الْيَقِينُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ :

* **أَحَدُهَا:** تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ .
* **وَالثَّانِي:** تَدَبُّرُ الْآيَاتِ الَّتِي يُحْدِثُهَا اللهُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ الَّتِي تُبَيِّنُ أَنَّهُ حَقٌّ .
* **وَالثَّالِثُ:** الْعَمَلُ بِمُوجِبِ الْعِلْمِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾. [فصلت: ٥٣].

وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِمُوجِبِ الْعِلْمِ يُثْبِتُهُ وَيُقَرِّرُهُ، وَمُخَالَفَتُهُ تُضْعِفُهُ بَل قَد تُذْهِبُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: آية ٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: آية ١١٠].

٣٥

إذا بلغ العبد منزلة اليقين: أسلم أمره لله تعالى، ورضي به، وبما يقدره عليه، حتى إنه لا يكاد يسأل أحدًا أن يدعو له، فلسان حاله: أنا قريب من ربي، وربي قريب مجيب، وقلبي ينبض بحبه ورجائه.

٣٦

إذا تمكن في قلب المؤمن اليقين بالله، والرضا به وعنه: انقلبت المحن في حقه إلى منح، والمصائب إلى مكاسب، وثبت القلب ثبات الجبال في الحالات التي تطيش من شدّتها العقول، وتنخلع من هولها القلوب.

٣٧

إذا بلغ المؤمن منزلة اليقين بالله، والرضا عنه: ارتقى إلى منزلة الصديقين، وليس كل من كان عالِمًا أو مجاهدًا أو عابدا فقد عرف الله حق المعرفة، ولكنه من صدق مع الله فقد عرفه حق المعرفة.

٣٨

الصدق مع الله ؛ يعني : الجد والاجتهاد في العمل له، ورفعة دينه، وتبليغ رسالاته بنفسك ومالك، وأن يكون همك في حياتك هو رضاه وإقامة شعائره، وتقديم ما يُحبّه على محابك وشهواتك.

٣٩

قال أبو زرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق ؟ فقال لي: «يا أبا زرعة، لو جُعِل الصدق على جرح لبرأ»[(١)] .

(١) تاريخ دمشق (٥/ ٣٢١).

٤٠

لـو تأملت فيمـن رفعـه الله تعالـى من أهـل العلم والفضل: لرأيت أن من أعظم أسباب رفعتهم وقبول الناس لهم: صدقهم مع الله تعالى، الذي جرهم إلى أن باعـوا أنفسـهم وأموالهم وأعراضهـم لله تعالى، فلا ينتقمون لأنفسـهم، ويبذلون أوقاتهم له ولدينه، ويخشونه حق خشيته.

٤١

يكفـي الصادقين شـرفًا أنّ الله تعالى أمـر المؤمنين أن يكونـوا معهـم وفي حزبهم وطريقهم، قـال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبـة: ١١٩]؛ فالآيـة دالة على فضـل الصدق وكمال درجته.

٤٢

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حَقٌّ على كلّ مَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ وَعَقَلَ عَنْهُ أَنْ يُلَازِمَ الصِّدْقَ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ، وَالصَّفَاءَ فِي الْأَحْوَالِ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَحِقَ بِالْأَبْرَارِ ، وَوَصَلَ إِلَى رِضَا الْغَفَّارِ»[(١)].

٤٣

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فمن عرف الله: صفا له العيش وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال، والمراقبة، والمحبة، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به والتسليم لأمره».

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٨٩).

٤٤

الله تعالى وعد من عمل صالحًا بأن يشرح صدره، ويصلح باله، ويحييه حياة طيبة ويزيده هدى وإيمانًا، ويقينا ومحبة وتوكلا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل : ٩٧].

٤٥

من جاهد نفسه في طلب العلم والعمل وقيام الليل والصيام وتلاوة القرآن وحفظه: سيجد نفسه تزداد مع الأيام إقبالا على الله تعالى، وقوة وتحملا على العبادة، لم يكن يستطيع قبل ذلك أن يفعل ربعها.

وإذا وفقك الله تعالى للطاعة والعبادة سيأتي عليك يوم تقول فيه: **(هل هناك حياة أحسن وأكمل من الحياة التي أعيشها؟)**

٤٦

إذا تمكن حبّ الله تعالى في قلبك: ستحبّ ذكر الله تعالى وتسبيحه وحمده بقلبك ولسانك، وسيسري ذكره في عروقك؛ فإن المحب لا يغفل عن ذكر محبوبه، وهذا هو الذكر الذي جاء مدحه في القرآن والسنة، والثناء على أهله.

٤٧

إذا ملأ حب الله تعالى قلبك، وغمر جوارحك، وسلب لبك، وذقت حلاوة وطعم الإيمان، وبلغت مرتبة الإحسان: ستتوق نفسك إلى النعيم المقيم، الذي ليس بعده ولا فوقه نعيم، وستقول بصدق: **(اللَّهُمَّ إني أحبُّ لقاءك فأحبَّ لقائي)**.

٤٨

إن المؤمن الصادق كلما تذكر أن ما بين موته وبين لقاء ربه وخالقه البر الرحيم، ودخول الجنة، ولقاء نبيه وحبيبه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا مفارقة روحه لجسده هان عليه أمر الموت، ولولا النهي الوارد في ذلك لتمنى الموت، فأهلا بالموت الذي يدنيه من لقاء ربه، ودخول الجنة.

٤٩

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلما صحَّ القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة، وقرب منها، حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها»[(١)].

٥٠

من ثمرات الأُنس بالله تعالى:

١ - العيشة السعيدة التي لم يحلم - والله - بعُشرها الملوك والرؤساء والمترفون والأغنياء، التي فيها الطمأنينة والراحة النفسية العجيبة.

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٧١).

٢- **القناعة** التي بها يـرى أنه أغنى الأغنياء، وأعز من أكابر الملوك والرؤساء .

٣- **الرضا بالأقدار المؤلمة، والمصائب الشـديدة، والكربـات الأليمـة،** التي لـولا ما في قلبـه من الرضا لانهارت قواه، وتمكن منه العدو وسباه .

٤- **خفة العبادات عليه،** حتى لا يجد فيها تعبا ولا نصبًا، إلا ما كان من الطبيعة البشرية .

٥- **البركـة التـي لاحـد لهـا،** والنمـاء والزيادة في علمه، ودينه، وعمله، وقبول الناس له .

٦- - **تسـخير الناس له،** حتـى يظنّ أن الكون كله سـخر له وحـده، فيقيّـض الله لـه من يقـوم بخدمته ومسـاعدته كما قـام بخدمـة دينه، ومسـاعدة عباده الصالحين، والجزاء من جنس العمل .

٧- - القبـول والمحبـة في قلوب النـاس. كما قال تعالـى عن عباده الصالحيـن: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]، أَي : يُحِبُّهُمْ ، وَيُحَبِّبُهُمْ إِلَى عِبَادِهِ.

٨- حُسـن الأخلاق، ولين الطبـع، والرفق واللين والرحمة، التي لا تُكتسب بالعلم والتدرب فقط.

٩- كُلُّ حَسَـنَةٍ يَعْمَلُهَـا تُكْتَـبُ بِعَشْـرِ أَمْثَالِهَـا إِلَى سَـبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، كما ثبـت في الصحيحين أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَحْسَـنَ أَحَدُكُمْ إِسْـلَامَهُ: فَكُلُّ حَسَـنَةٍ يَعْمَلُهَـا تُكْتَبُ لـه بعَشْـرِ أَمْثَالِهَا إلى سَـبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ له بِمِثْلِهَا» رواه البخاري.

١٠- نضج العقل، واكتسـاب الحكمة، وصواب الرأي، ودقة الفهم، وبعد النظر.

❋❋❋

هذه خمسون فائدة، والفوائد جمةٌ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، جزى الله المؤلف عنا كل خير، وتقبل الله منا ومنكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋❋❋